

الملتقي الوطني التاريخي تقنيات وأدوات استعمال المصادر والأرشيف في البحث التاريخي

قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر

توظيف الأرشيف التونسي في دراسة الحراك الاجتماعي للجزائريين خلال الفترة الاستعمارية

## Employing the Tunisian archive in studying the social mobility of Algerians during the colonial period

د. عايدة حباطي

جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة

habbati.aida@gmail.com

### الملخص

تعتبر الوثائق الأرشيفية من بين أهم المصادر المادية التي يعتمد عليها البحث التاريخي، حيث تعني هذه الأخيرة بحفظ

شؤون تتعلق بالإنسان؛ إذ ترصد جوانب هامة من حياته السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية. تغذى البحث العلمي بما يحتاجه من مادة خبرية، تساعد في استرجاع هذا الماضي.

ونظراً لما عرفه الفرد الجزائري من وضع مزري في ظل التواجد الاستعماري، جعل بيته طاردة له، فشهد حراكاً غير مسبوق إلى خارج الديار، فإن الباحث يجد نفسه مضطراً لرصد هذه الحركة وتتبع أثارها إلى مصادر أجنبية في البلدان المعادر إليها، بما في ذلك تونس التي عرفت منذ بداية الاحتلال تدفقاً هائلاً.

### الكلمات المفتاحية:

الأرشيف التونسي، الوثائق، المهاجرون الجزائريون، تونس، فرنسا

### Abstract :

Archival documents are among the most important material sources upon which historical research relies. They preserve human affairs, documenting important aspects

of a person's political, military, social, and economic life. It feeds scientific research with the news material it needs, helping it recall this past.

Given the dire situation experienced by the Algerian individual under the colonial rule, which made his environment repellent to him. He witnessed an unprecedented movement outside his homeland, the researcher finds himself forced to monitor this movement and trace its effects to foreign sources in the countries to which he left, including Tunisia, which has witnessed a massive influx since the beginning of the occupation.

### **Keywords:**

Tunisian archives, documents, Algerian immigrants, Tunisia, France

### **مقدمة:**

ترتبط الكتابة التاريخية في استحضار الماضي واسترجاع تفاصيله وأحداثه بمادة مصدربة خبرية تعطي الباحث والدارس صورة تقريبية تمكنه من التحليل واستخراج منها معرفة عن الماضي الإنساني، ومن المصادر الهامة الوثائق التي يحتفظ بها دور الأرشيف. وقد عرفت الجزائر في ماضيها القريب من الفترة المعاصرة الحركة الاستعمارية التي كانت لها تداعيات على كل الاصعدة وخلفت مادة أرشيفية هائلة تبلغ ملايين الوثائق، تتضاعف بتقادم المرحلة. ومن هذه الوثائق من رصد حركة الجزائريين خارج الديار. واحتفظت دور والماكنز الخارجية بقسط من هذا الماضي المشارك من الفترة الاستعمارية. ومن هذه المراكن الأرشيفية التونسي الذي احتفظ بعده من هذه الوثائق التي تعنى بهذه الفترة الحرجة التي عرفت حراك اجتماعي لافت تحركت معه عددا من الدوائر الفرنسية قبل وبعد الحماية على تونس. بناء جاء موضوع هذه المداخلة الموسومة، **توظيف الأرشيف التونسي في دراسة الحراك الاجتماعي للجزائريين خلال الفترة الاستعمارية.**

الذي نتسأل من خلاله عن أرصدة الأرشيف التونسي في تتبع حراك الجزائريين خلال الفترة الاستعمارية وآليات توظيفها في كتابة تاريخ الجزائر؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية أرتأينا أثارة نقاط ثلاث:

-للمحة عن الأرشيف التونسي.

-الحراك الاجتماعي للجزائريين في تونس

- نماذج أرشيفية عن الحراك في الأرشيف التونسي.

## I. -للمحة عن الأرشيف التونسي:

شهدت البشرية منذ القدم حركات الترحال، لعوامل متداخل تعكس حاجتهم للاستقرار وتلبية مطالب اقتصادية وأخرى سياسية وعلمية واجتماعية. وارتبط هذا التنقل والحركة البشرية في الفترة المعاصرة في الجزائر بالحركة الاستعمارية وانعكاساتها على الفرد الجزائري، والتي دفعته إلى الفرار إلى بلاد أخرى مشرقاً وغرباً. ومن ذلك البلاد المجاورة التي استقبلت وفوداً بشريّة تصاعدت مع التواجد الاستعماري وسياسته القمعية. وهذا ما يدفع الباحثين المهتمين بهذه المرحلة في تتبع أثر التواجد الجزائري في هذه الديار، وطبعاً لا يتأتى ذلك إلا بالعودة إلى الأرشيفات الخارجية. وتعتبر البلاد التونسية من بين المهاجر التي اتجه إليها الجزائريون، كان ذلك مصحوباً بوثائق إدارية وقرارات وتقارير الصادرة عن مختلف السلطات تخيناً حتماً إلى الأرشيف الوطني التونسي؛ كأحد المراكز التي تحتفظ بهذه الوثائق، والأكيد أنها ليست الوحيدة بتواردها في محفوظات المكاتب والأسر...وعليه فمن الأجرد الوقوف عند هذا المذكر بالتعريف.

يعود تاريخ نشأة الأرشيف الوطني التونسي، إلى ما قبل فرض الحماية الفرنسية (1881) في عهد محمد الصادق باش باي، ووزيره الأكبر خير الدين باشا (1873-1879)، هذا الأخير الذي أسس في عام 1874 مصلحة الأرشيف في الوزارة الكبرى التي كان يترأسها سميت خزانة مكاتب الدولة، بجمع وثائق الدولة التونسية بمختلف أنواعها وترتيبها والحفظ عليها.

أم من حيث مقر هذه المصلحة فكان في البداية في قصر باردو، ثم تقرر نقله إلى القصر الذي يعرف باسم دار الباي بالقصبة، وهي قصر الحكومة التونسية حتى 1998. أما مقره الجديد خلف المدرسة الصادقية (شارع 9 أفريل 1938)<sup>1</sup>

من الأرشيف التونسي بمراحل تنظيمية مختلفة، فخلال فترة الحماية الفرنسية (1881-1956) تقلصت صلاحيات كل المؤسسات الإدارية، أين باشرت السلطات الفرنسية مع تعيين المقيم العام إدارة مع. حيث تم إنشاء إدارات فنية قامت بمهام

<sup>1</sup> خليفة حماش، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف التونسي، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، 2016، ص.5.

وزارات حقيقة تخضع للسلطات الفرنسية في تونس، فيما أصبحت وزارة الحرب والخارجية بيد السلطات الاستعمارية. في هذه المرحلة، تم تنظيم الوثائق الناتجة عن أنشطة السلطتين التونسية والفرنسية بطريقتين مختلفتين. بالنسبة إلى الإدارة التونسية والتي تسمى "قسم الدولة"، فإن النظام المطبق في تنظيم الوثائق مستوحى من نظام "مكاتب الضبط" المستخدم في وزارة الشؤون الخارجية في فرنسا (نظراً إلى أن تونس، باعتبارها محمية فرنسية، تخضع لهذة الوزارة). تم تجميع وثائق المصالح المختلفة في سلاسل وفقاً لنظام تصنيف تم إنشاؤه مسبقاً. تم إنشاء مكاتب الأرشيف في المبادرات المختلفة لقسم الدولة لجمع الوثائق والملفات. ومنذ عام 1883، أصبحت "خزينة مكاتب الدولة" تسمى "الأرشيف العام للحكومة" والذي تولى حفظ وثائق قسم الدولة بعد انتهاء استخدام الإداري لها. تم إلهاق هذه المصلحة بالكاتب العام للحكومة. أشرف على هذه المصلحة عدداً من التونسيين مثل شكري غانم، محمد القروي، حسن حسني عبد الوهاب، طاهر اللجمي والعربي بن عبد الله وعلي عبد الوهاب ومحمد صلاح

منالي ...<sup>1</sup>

شهدت هذه المرحلة الحرجية من تاريخ تونس تحت سيطرة الحماية، عدم الاهتمام بكل المؤسسات على غرار إدارة التجهيز وإدارة المالية وإدارة التعليم العمومي والبريد والبرق والهاتف وإدارة الأمن العمومي، فهي لم تخضع لنفس طريقة التنظيم. في حين تم جمع الوثائق التي أنشأتها مصالح الإقامة العامة في تونس ورُحلت إلى فرنسا (وهي تحت مسؤولية وزارة الخارجية الفرنسية). تمكنت تونس بجلب جزء هام من هذه الوثائق (1983) في شكل ميكروفيلم<sup>2</sup>.

مع الاستقلال الداخلي لتونس في عام 1955، أعيد تنظيم مصالح رئاسة مجلس الوزراء بموجب أمر بتاريخ 13 أكتوبر 1955 وسمى الأرشيف العام للحكومة "الأرشيف العام". وابتدأ من عام 1967، حضرت كتابة الدولة لرئاسة الجمهورية هيكل تنظيمي جديد وأصبحت إدارة الأرشيف: قسم الأرشيف العام والتوثيق. وهو هيكل مسؤول عن أرشيفات الدولة العامة والمخاذا علىها. قام القسم بإنشاء دليل عام لأرشيفات الدولة وإتاحته للباحثين لاستخدامه.

<sup>1</sup> <https://www.archives.nat.tn/ar>

<sup>2</sup> Ibidem

عند إنشاء الوزارة الأولى وتنظيم مصالحها بمقتضى الأمر عدد 118-70 الصادر في 11 أفريل 1970)، تغير معها الاسم القديم لإدارة الأرشيف ليصبح: "قسم الأرشيف العام". وإعطائه صبغة قانونية، وفق القانون رقم 88-95 المؤرخ أوت 1988 لتنظيم قطاع الأرشيف<sup>1</sup>.

تم تقسيم أرصدة الأرشيف إلى خمسة أقسام، اهتمت فقط بالفترة التاريخية الحديثة والمعاصرة ويشمل:

القسم الأول؛ الوثائق الناشئة قبل 1881 وتضم بدورها،

-**السلسلة التاريخية:** يحتوي على 4668 ملف يعنى بالتاريخ الحديث للبلاد التونسية (من القرن 16 إلى القرن 19) وتحتوي هذه السلسلة على 6 أقسام :

-العائلة الحسينية وكبار موظفي الدولة

-الإدارات والهيئات العمومية ومراسلات القياد مع الباي والوزير الأكبر،

-التنظيم المالي،

-المسائل القضائية: القضاء الشرعي والقضاء السياسي الذي أسس بعد دستور 1861

- وثائق وزارة الحرب ووزارة البحر وما يعلق بالشؤون العسكرية،

-العلاقات الخارجية: الاتفاقيات والمعاهدات خاصة مع الدول الأوروبية خلال القرنين 18 و 19.

- **سلسلة الدفاتر الإدارية والجهازية:** تتمثل الدفاتر الجهازية والإدارية أقدم رصيد وثائقى بمؤسسة الأرشيف الوطني إذ تم تجميعه "بخزينة مكاتب الدولة" وترتيبه منذ سنة 1874 . ويقوم الترتيب الحالي للدفاتر الجهازية والإدارية على الموضع من جهة وعلى ترتيب تسلسلي وتأريخي من جهة أخرى.

القسم الثاني، وثائق فترة الحماية؛ وهو الذي يعنينا في هذه المداخلة ويشمل الوثائق المنشأة خلال فترة الحماية الفرنسية مصنفة في السلاسل التالية المبينة في الجدول أدناه:<sup>2</sup>

السلسلة	عدد الملفات	المحتوى
“A”	17879 ملفا	بالإدارة الجهوية والمحلية والحدود. والتنظيم الإداري وبالموظفين كالقياد والكواهي والشيخ.
“B”	1769	أمناء المهن والحرف (شؤون الاقتصاد والفلاحة والمهن)

<sup>1</sup> <https://www.archives.nat.tn/ar>

<sup>2</sup> زيارة خاصة للأرشيف التونسي سنة 2016.

بالشئون العدلية (العدل، القضاء، محاكم الشع)	5306	السلسلة: "B1"
إدارة الأوقاف وملفات المسائل العقارية وممتلكات المؤسسات الدينية والتعاونية وأحباس الحرمين الشريفين .	1695	السلسلة: "C"
ملفات إدارية لموظفي جمعية الأوقاف وملفات التي تتعلق بالتصرف الإداري والمالي لنياباتها الجهوية	2854	السلسلة: "C1"
ملفات جمعية الأوقاف (العقارات والأملاك التي أوقفها وترميم الزوايا وإعانته القراء وإيواء الزائرين	2215	السلسلة: "C2"
الشئون الدينية في البلاد التونسية خلال فترة الحماية المؤسسات الدينية كالزاوية والجامع والمساجد والقائمين عليها كالأئمة والطرق الصوفية.	11437	السلسلة: "D"
بيت المال (التراثات التي لا وارث لها)	325	السلسلة: "D1"
أنشطة المؤسسات والمصالح الإدارية خلال الحماية وعلاقتها مع السلطة المركزية.	18019	السلسلة: "E"
الوثائق المتعلقة بالعائلة الحسينية وأخرى متعلقة بالشئون الدبلوماسية والقنصلية.	980	السلسلة: "F"
المراقبين المدنيين والعمال على المنشير الوزارية المتعلقة باليادين الإدارية والقضائية والمالية باليادة التونسية.	433	السلسلة: "G"
تحاليل صحافية للقضايا السياسية في تونس وفي الخارج.	254	السلسلة: "K"
شؤون إدارة الجامع الأعظم وفروعه خلال فترة الحماية الفرنسية (التعليم الزيتوني وملفات المدرسين والإداريين والتلاميذ بالفروع الزيتוניתية).	2039	السلسلة: "L"
الأشغال العمومية والبلديات والشركات (الفوسفاط، السكة الحديد)	4800	السلسلة: "M"
المراسلات مصالح الأمن العمومي إلى الكاتب العام للحكومة التونسية (مراقبة النشاط السياسي والنقابي خلال فترة الحماية).	268	السلسلة: "MN"
مصالح الكتابة العامة للحكومة التونسية إلى إنشاء رصيد "الكتابة العامة" من الوثائق النصوص التشريعية والمراسلات الإدارية النشرات وشكاوى وتقارير	2167	السلسلات "SG" صندوق أرشيف

## II الحراك الاجتماعي للجزائريين في تونس:

كانت تونس من بين البلدان التي عرفت تدفقات بشرية جزائرية متتالية، ارتبطت بجملة من العوامل؛ منها القرب المغربي إذ تعتبر تونس من بين أهم البلدان العربية مقصدًا للهجرة بالنسبة للجزائريين؛ ونظراً لقرب المسافة التي عززت الروابط الاجتماعية والحضارية، وهو ما يفسر سهولة انتقال الجزائريين واندماجهم السلس فيها. إلى جانب التقارب التاريخي والمعتقد واللغوي والعادات والتقاليد؛ لذلك وجد فيها الجزائريون موطنًا للاستقرار عند بعضهم، فرارًا من بطش الإدارة الاستعمارية. ومنطقة عبور عند غيرهم الآخر، يتمكنون عبر حدودها الشرقية الوصول إلى مصر والمشرق عامه.

بدورها شجعت الفتاوى على الفرار إليها، دراء لدينهم وأعراضهم. كما كانت بالنسبة لبعضهم ملجأ سياسياً للمقاومين والفارين من العقوبات القانونية الصادرة في حقهم. فقد أصدرت المحاكم الفرنسية أحكاماً بطرد مئات العائلات إلى تونس كفرع أولاد المقراني الذين تزعمهم ناصر بن شهرة. وهناك منحهم الباي في تونس العاصمة قطعة أرض يعيشون منها<sup>(1)</sup>. وقد سجلت الإحصاءات ما جموعه (16600) مهاجراً سنة 1876. وما ميز تونس بالنسبة للجزائريين توفرها على جامع الريتونة الذي يعد مركزاً علمياً هاماً افتقدته الجزائر. وعلى صعيد آخر ففي مراحل من الاحتلال الفرنسي جعلت فرنسا في الجزائر من البلاد التونسية محطة تخلص فيها من المغضوب عليهم سواء من الأفراد الذين ارتكبوا جرائم وجنح ونزاعات بين الأفراد أو المقاومين الذين عذبوا فرنسا متمندين وخارجين عن القانون، ومن الفارين من العقوبات القضائية والمتهمين من دفع الضرائب. وملجأً في الكوارث الطبيعية، سمحت السلطات نفسها لعبور الأهالي المتضررين من الجفاف، بأن منحهم رخص الخروج، وقد استغلتها بعض العائلات للخروج من البلاد. وقد استمرت التدفقات البشرية مع استمرار الوضعية الاستعمارية، تضاعفت بشكل كبير أثناء الثورة التحريرية مع العمليات العسكرية وإنشاء المحتشدات، وتحطيم المساكن ونسف القرى<sup>(2)</sup>.

وكانت تونس من بين أهم البلدان العربية مقصدًا في المحرقة؛ وعرفت مع بداية الاحتلال الجزائري دينامية كبيرة حركت من وتيرة المحرقة، التي بدأت مع احتلال عناية (1831) باتجاه بنزرت. واستقبلت تونس وفوداً من المهاجرين الجزائريين، بصفتهم مزارعين وفلاحين، تمتعوا من الإعفاء من الضرائب والخدمة العسكرية، وعملوا كحراس عسكريين في المراكز. ومع تضاعف أعداد المهاجرين المتداقة على تونس، شكل ذلك قلقاً لدى الإدارة الاستعمارية، حيث تحولت المحرقات من الصفة الفردية الرسمية إلى جماعية سرية وهو ما أكدته أرصدة الأرشيف التونسي السلسلة C<sup>(3)</sup>. فكانت موطنًا للاستقرار عند بعضهم، فرارًا من بطش الإدارة الاستعمارية. ومنطقة عبور عند غيرهم، يتمكنون عبر حدودها الشرقية الوصول إلى مصر والمشرق عامه، مروراً بطرابلس في مسار بري، بجوازات سفر تسلم لهم من الإدارة الاستعمارية في تونس<sup>(4)</sup>. فيما يختار أغلبهم التنقل سراً إلى سوريا، خاصة عقب فرض الحماية على تونس (1881)، أين تعرضوا لكثير من المضايقات.

<sup>(1)</sup> خير الدين شترة: المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونسية، دار كردادة، الجزائر، 2013، ص. 246.

<sup>(2)</sup> عايدة حاطي: الجزائريون ورحلة البحث عن الهوية القانونية في تونس من خلال الوثائق الفرنسية، الملتقى الدولي، التواصل الاجتماعي والاقتصادي بين الجنوب القصيطيقي والغرب والجنوب التونسي (1830-1956)، جامعة باتنة 1، 10-11 ماي 2023

<sup>(3)</sup> A.N.T ,série C,276(BIS) , Dossier1/13 NP324D.EX 1876-1912 .

A.N.T ,série C,277 , Dossier 1.2.3.4, , Document NP(103) (89) (96) (18).

<sup>(4)</sup> A.N.T ,série, C276(BIS) , Dossier 4 /3 ,NP 342 .

حيث خيرتم سلطة الحماية (المقيم العام) في الفترة الممتدة ما بين 1899 و 1916، بين التجنس بالجنسية الفرنسية أو البقاء كرعايا تونسيين، عليهم ما على التونسيين من حقوق اتجاه فرنسا؛ كدفع الضرائب والخدمة العسكرية.<sup>(1)</sup> ويبدو أن فرنسا في هذه الفترة كانت في وضع حرج، حيث تصاعدت أعداد المهاجرين نحو تونس، فأرادت إيجاد صيغة قانونية لهؤلاء المهاجرين، تضبط بها حركة المиграة في محيطها الجديد، أما مسألة الحصول على الجنسية الفرنسية، فإنه لم يكن بالسهولة الموصوفة، وهم في المهاجر، كما أن طلبها أمر مستبعد، وقد كانت متاحة لهم في الجزائر، كانت قوانينها أحد الأسباب التي جعلتهم يفرون من ديارهم، خشيتا على دينهم.

اعتبرت تونس بعد الحماية الفرنسية، معبرا باتجاه سوريا ولبنان بطرق سرية، فلم تظل مطمحًا للجزائريين بعد أن وطأها الاستعمار هي الأخرى. واستعان الجزائريون في الميلور إلى بلاد الشام، بالسفن الإنجليزية والإيطالية، التي قدمت لهم يد المساعدة، دون جوازات سفر، وهو ما أخطر به المقيم العام الفرنسي في تونس، في تقرير له سنة (1888) الإدارة الفرنسية في الجزائر، بعد مغادرة أكثر من (237) جزائري، وقد أثارت هذه المساعدات استياء فرنسا، واعتبرتها تدخلًا في الشأن الفرنسي. ويبدو أن في مساعدة المهاجرين إلى المشرق، له مبررات تنافسية؛ فإنجلترا وهي المنافس العيني لفرنسا، لن ترضى بشكل طوعي أن تتنافس حظوظها في المشرق. بينما إيطاليا التي لم تتأل نصيتها بعد من الشمال الإفريقي، هدرت فرنسا حلمها في ضم تونس، وهي الأقرب إلى مجالها الجغرافي.

تعتبر الإحصاءات المتعلقة بحركة الجزائريين مرآة عاكسة لحياتهم البائسة في الجزائر، نتيجة وضعية استعمارية، جعلت المسلمين الجزائريين في حالة تذمر دائمة، ما دفعهم إلى المиграة الجماعية، إلى بلاد الشام (سوريا، لبنان، فلسطين)، كما استقبلت مصر وفودا أخرى، حيث سجلت القنصليات الفرنسية على مستوى ما يقارب (1744) مهاجر سنة (1870)، الذين تم تسجيلهم، على اعتبارهم مهاجرين شرعيين<sup>(2)</sup>.

تبين التقارير الصادرة عن مختلف السلطات الفرنسية والتونسية التي احتفظ بها الأرشيف التوتوسي؛ كالمجالس الولائية والبلدية واللجان المالية. بالإضافة إلى مراسلات القنصلين في بلاد الشام واسطنبول، ووزارة الخارجية الفرنسية، والإقامة العامة بتونس في شكل تقارير أمنية<sup>(3)</sup> قد ثارت المسألة أجمع فيها كل الأطراف أن على فرنسا التحرك بسرعة لمنع المиграة إلى المشرق، التي أصبحت تمس بسمعتها في المنطقة؛ ومعها راقت من خلالها حركة التنقل بين القطرين (الجزائر وتونس)، وتسليم جوازات السفر، ومراقبة المهاجرين؛ سواء الذين استقروا في تونس أو الذين جعلوا منها معبرا للحجاج والمهاجرة إلى بلاد الشام.

### III نماذج أرشيفية عن الحراك في الأرشيف التوتوسي:

<sup>(1)</sup> A.N.T ,série, C278 , Dossier3 , Document 1/48, D.EX 1899-1916.

<sup>(2)</sup> عمار هلال: "الطلبة الجزائريون في الأزهر عام 1916" ، مجلة الثقافة، ع. 79، وزارة الثقافة، الجزائر، 1984، ص.123.

<sup>(3)</sup> A.N.T , Série A , C276(BIS), Dossier 13 /1 ,NP324 , D ex1896- 1916.et A.N.T , Série A , C277, Dossier(1-2) ,Document NP.103- 89.

احتوى الأرشيف التونسي المطلع عليه أرصدة قيمة، التي تتبع الحركة التنقل والمراقبة المهاجرين الجزائريين، ويتعلق الأمر بالمجموعتين (A) و(E)؛ فاحتوت كلاً مجموعتين على ملفات هامة، صنفت حسب مواضعها في علب. اعتمدنا على العلبة رقم(276) التي قسمت لملفين؛ تضمن الأول، المراسلات الإدارية والتقارير الأمنية، حول إجراءات إعادة المسافرين إلى الحج خلسة من التونسيين والجزائريين إلى أوطانهم. وملف ثان احتوى على مجموعة من الوثائق، تتعلق بتسليم جوازات سفر للجزائريين والتونسيين لوجهات مختلفة خاصة سوريا. كما اطلعنا على علب من نفس المجموعة (A)؛ كالعلبة(277)، وما تضمنته من وثائق تخص المراسلات والأمريات حول التنقل بين تونس والجزائر. والعلبة رقم(278) بمحتها المتضمن مراسلات إثبات الجنسية، بتخيير الجزائريين فيها بين صفة رعایا تونسيين أو التحنس بالجنسية الفرنسية. أما المجموعة الثانية (E)، فقد تضمنت العلبتين(550) و(555)، على ملفات تخص بعض الشخصيات الجزائرية المشتبه فيهم؛ منها بالإضافة إلى المجموعة D. وعموماً فإن هذه الوثائق التي كان جلها ذو طبيعة إدارية تعكس واقع سياسي بين البلدين الحمائية والاحتلال وما تبعها من تضييق على حركة تنقل الجزائريين إلى تونس كعوام وطلاب وحجاج، ورصد ومراقبة نشاطهم في تونس وانتقالهم إلى ضفاف أخرى بجوازات سفر أو بطرق غير شرعية.

من خلال الاطلاع على مجموعة من أرصدة الأرشيف التونسي، التي تتبع حركة الجزائريين في تونس؛ من حيث انتقالها، قد أتاح أمام الباحثين، دون قصد من مدونيها في شكل تقارير أو طلبات أو مسألة قانونية؛ كانت في الأساس وثائق إدارية لم تعنى أبناء كتابتها بتفاصيل يهتم الباحثين وتفتح أمامهم أفق بحثية، كالمناطق القادمين منها كتبسة، قسنطينة، سطيف.....ورصدت نفس الوثائق المناطق التي استقبلتهم كفقصة وبنزرت..

حملت الوثائق توقعات لشخصيات مثلت سلطة الاحتلال في الجزائر، وزارة الخارجية وقنصلية فرنسا في تونس، المقيم العام، والحكومة التونسية، والمراقب المدني والوزير المفوض المقيم العام للجمهورية الفرنسية ألبيطي (Alapetite)؛ وبلون (Blanc)، السكرتير العام في الحكومة المؤقتة... وتبع تطور الكتابة العامة للحكومة التونسية منذ إنشائها سنة 1883 تحت الإشراف المباشر للكاتب العام للحكومة الذي كان موظفاً فرنسيّاً سامياً. ثم حذفت سنة 1922 وأعيد إنشاؤها سنة 1933.

تعتبر هذه الأرصدة مصدراً هاماً من المصادر التي تتيح أمام الباحثين أسماء المهاجرين الجزائريين إلى تونس وأيضاً فئاتهم كطلبة وعمالاً وحجاجاً والذين جعلوا منها مطية للوصول إلى المشرق.

أثارت الإدارة الاستعمارية العديد من المسائل التي ارتبطت بالتوارد المهاجرين الجزائريين، كمسألة الجنسية، والتجنيد، دفع الضرائب، الترحيل، المحرجة غير شرعية.

تؤكد الوثائق والراسلات الرسمية الفرنسية على المراقبة الدقيقة والبحث والتحري والمتابعة راقبت من خلالها حركة التنقل بين القطرين (الجزائر وتونس)، وتسلیم جوازات السفر، ومراقبة المهاجرين؛ سواء الذين استقروا في تونس أو الذين جعلوا منها معبرا للحج والmigration إلى بلاد الشام. وهي نماذج تعكس طبيعة هذا الحراك في ظروف استثنائية عاشهما القطرين (الجزائر وتونس) بعد الاحتلال فرض الحماية.

من الممارسات التي طبقت على الجزائريين تحديد جنسية الجزائريين؛ ففي مراسلة أرسلها المراقب المدني في بوزرط إلى السيد البيبيط الوزير المفوض المقيم العام للجمهورية الفرنسية في تونس في تاريخ فيفري 1917، رد على الشكوى المقدمة ضد السيد محمد بن محمد بن سليمان سماوي التي تحمل رقم 97، في تاريخ 24 نوفمبر 1916. وأكد فيه على أن الأخوين المقدمة ضدتهم الدعوى (عمر و منصور) لا يحملان شهادة الجنسية، ولم يوجد لهما طلبا مسجلا للحصول عليها في أرشيف المركز المتعلق بالجزائريين. لذلك يعتبران أمام السلطات الإدارية من الناحية القانونية تونسيان. وأكد المراقب المدني في الأخير أن أفرادا من نفس عائلة سماوي تحمل صفة رعایا فرنسيين كالحاج محمد بن أحمد سليمان وعلى وبمقاسيم بن بن أحمد سليمان<sup>(1)</sup>. ونفس شيء قامت به السلطة الحماية بالتحقيق في شأن فاطمة أرملة صلاح بن خليل في وضعها القانوني، وأنجحها المادي بن حسان الشريف<sup>(2)</sup>. كما طالت شخصية أحمد توفيق المدني الجزائري الأول ولد تونس، والتي هاجرت إليها العائلة بعد ثورة المقراني، الذي وضع تحت الرقابة الأمنية من طرف المقيم العام الفرنسي بتونس، بأمر من وزارة الشؤون الخارجية. رسالة من المدعو محمد بن عبد الله بن صالح الطرابلسي للكاتب العام للحكومة العامة عن قضية تحريضية من توفيق المدني كانت مناهضة لفرنسا<sup>(3)</sup>

من مظاهر الحراك الاجتماعي، انتقال الحجاج الجزائريين عبر طريق القوافل، التي جعل منها بعضهم مطية للاستقرار، ولحّات، ومن ذلك المراسلة التي قدمها المراقب المدني عن مراسلة أهلي بعض الحجاج للدفع عنهم قبل ترحيلهم يتعلق الأمر بمستحقات مالية للحجاج عبد الكريم بن حاج محمد الدوقي، ومحمد بن محمد عيساوي ودفعت عنهم الحكومة التونسية وأثبتت خلال ذلك القايد سي حسن بركات على قدر عائلتهم على التسديد<sup>(4)</sup>.

<sup>(1)</sup>A.N.T ,série A, C278 , Dossier3 , Doc 20 , (26 Février 1917)

<sup>(2)</sup>A.N.T ,série A, C278 , Dossier3 , (24 November 1915)

<sup>(3)</sup>A.N.T, Série E, C550, Dossier 30/15, Doc26, (20 Février 1915)

<sup>(4)</sup>A.N.T ,série A, C276 , Dossier4 ,18 Mai1914)

إلى جانب شكلت الرحلة العلمية، التي قصد فيها الطلبة الجزائريون الزيتونة، التي وجدوا فيها ظالتهم، لتطوير قدراتهم العلمية، وقد كان الأرشيف التونسي أرصد رصدت أسماء الطلبة وإعانتهم ومراقبتهم، ونشاطهم والأماكن التي حاولوا منها. وقد استغل خير الدين بن شترة في أطروحاته عدداً معتبراً من هذه الوثائق في مجلدات ثلاث.<sup>(1)</sup>

وفي الأخير نخلص، أن الأرشيف الخارجي من بين المصادر الهامة في كتابة تاريخ الجزائر، ويعد من الأرشيفات الغنية والمتعددة في كتابة تاريخ الجزائر، وجمع الذاكرة الوطنية الموزعة عبر ما يزيد عن 30 دولة، إن نالت بعض الأرشيفات من اهتمام المؤرخين في أبحاثهم ودراساتهم، على غرار الأرشيفات فرنسا خلال الفترة الاستعمارية، وأيضاً الأرشيف التركي في حقب معينة وبعض الأرشيفات العربية ما عدا ذلك لا تزال عدداً من المراكز الأرشيفية ميداناً ي亟حتاج إلى جعله متاحاً أمام الدراسات البحثية المعاصرة.

وفي ختام هذه المداخلة نقترح مجموعة من التوصيات؛

- جعل المصادر متاحة أمام المهتمين، في شكل كتابات ومؤلفات ووثائق والجرائد ومجلات، تتيح للباحثين تثمين موضوعهم بمادة جديدة تفتح آفاق بحثية تبعد البحث عن التكرار وإعادة نفس الموضوع إلى حد تحييده. وذلك بإنشاء منصة إلكترونية تشرف عليها مؤسسة رسمية تشرف على الغربلة والتنظيم والتبويب، على غرار المكاتب الإلكترونية العالمية.

- إماطة اللثام عن جهود بعض الشخصيات التي أفت عمرها في الأرشيفات وفهرستها وجعلها ميسرة في دور الأرشيف.

- أن تقوم المؤسسات الجامعية بشراكة مع المراكز الأرشيفية المحلية والوطنية التي تمكن المؤرخين من المادة المصدرية في أبحاثهم. لأهمية الأرشيف في البحث التاريخي. إلى جانب ما تحتفظ به بعض الجمعيات والأسر والتسجيلات الصوتية والمرئية، حفاظاً على الذاكرة الوطنية.

#### قائمة المصادر والمراجع:

- A.N.T ,série C.276 , Dossier1/13 NP324D.EX 1876-1912 .
- A.N.T ,série C.277 , Dossier 1.2.3.4, , Document NP(103) (89) (96) (18).
- A.N.T ,série, C276 , Dossier 4 /3 ,NP 342 .
- A.N.T ,série, C278 , Dossier3 , Document 1/48, D.EX 1899-1916.

<sup>(1)</sup> خير الدين بن شترة، الطلبة الجزائريون بجامعة الزيتونة 1900-1956، 3 ج، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009.

-A.N.T , Série A , C276, Dossier 13 /1 ,NP324 , D ex1896- 1916.et A.N.T , Série A , C277, Dossier(1-2) ,Document NP.103- 89.

-A.N.T ,série A, C278 , Dossier3 , Doc 20 , (26 Février 1917)

-A.N.T ,série A, C278 , Dossier3 , (24 November 1915)

-A.N.T, Série E, C550, Dossier 30/15, Doc26, (20 Février 1915)

-A.N.T ,série A, C276 , Dossier4 ,18 Mai1914)

-A.N.T , Série A , C276, Dossier 13 /1 ,NP324 , D ex1896- 1916.et A.N.T , Série A , C277, Dossier(1-2) ,Document NP.103- 89.

-A.N.T ,série A, C278 , Dossier3 , Doc 20 , (26 Février 1917)

-A.N.T ,série A, C278 , Dossier3 , (24 November 1915)

-A.N.T, Série E, C550, Dossier 30/15, Doc26, (20 Février 1915)

-A.N.T ,série A, C276 , Dossier4 ,18 Mai1914)

-<https://www.archives.nat.tn/ar>

-خليفة حماش، **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف التونسي**، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، 2016.

-خير الدين شترة: **المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونسية**، دار كردادة، الجزائر، 2013.

-عايدة حباطي: **الجزائريون ورحلة البحث عن الهوية القانونية في تونس من خلال الوثائق الفرنسية**، الملتقى الدولي، التواصل الاجتماعي والاقتصادي بين الجنوب القسنطيني والغرب والجنوب التونسي (1830-1956)، جامعة باتنة 1، 10-11 ماي

2023

-عمرار هلال: "الطلبة الجزائريون في الأزهر عام 1916"، مجلة الثقافة، ع. 79، وزارة الثقافة، الجزائر، 1984.

-خير الدين شترة، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956**، 3 ج، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009.